تؤمن بامتيازها، وتفوّقها، وضرورة سيطرتها على مقدّرات وأراضي شعوب أخرى مجاورة، تسكنها أصول جنسية وعرقية ترى انها أقل منها تقدّماً. ولعل المثال الذي أعطاه ايمان الجنس الآرى، او الجرماني، بتفوّقه على الاجناس الاخرى، ونهجه في التوسّع وضمّ الاراضي، والاساس الذي بنى عليه فردريك راتزل ـ وكارل ريتر ـ نظرياته ومبادئه من ان الدولة هي «كائن حي»، وانه لا سبيل أمام الدول الصغيرة والضعيفة الى البقاء والحياة، وان الدول القوية تسحق، في طريق تقدّمها، الدول الضعيفة حولها، كان هو النبراس الذي اتخذه المخططون الاستراتيجيون الاسرائيليون مرشداً لهم خلال انشاء الدولة اليهودية، وتطوّرها، وتوسّعها. فقد وضع راتزل قانوناً لنمو الدول يرتكز على مقوّمات عدة، كان أهمها ان مساحة الدولة هي أفضل المعايير التي يستدل منها على قوة الدولة، وان نمو الدولة ما هو الّا نتيجة تابعة لنمو سكانها، وان الدولة تنمو بامتصاص اجزاء صغيرة ذات أهمية استراتيجية، واقتصادية، من الاراضي حولها، وتهجير سكان جدد الى هذه الاجزاء للتمسّك بها وتعميرها، وان حدود الدولة ما هي الّا غلاف لرقعتها، وهي ظاهرة دينامية قابلة للتغيّر. وقد استفادت اسرائيل تماماً من هذه النظرية، بل وقامت بتطويرها لصالحها؛ وكانت ظاهرة هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل، وتوطينهم في القدس وأراضي الضفة الفلسطينية، هي آخر مظاهر تنفيذ هذه النظرية.

عموماً، لقد بدأ الامر بدعوة «الخلاص والعودة» الى فلسطين واستيطانها في أواخر القرن الماضي. واستمر ينمو، ويستفحل، ويتطوّر، الى الآن. ولفهم ذلك يمكن تقسيم هذه الفترة، طبقاً لتطوّر الصهيونية، وانجازاتها، الى أربع مراحل رئيسة، هي:

أولاً ـ مرحلة «الهجرة»: وتبدأ بظهور فكرة «الاندماج»، ثمّ اندثارها لتحل محلها فكرة «القومية اليهودية» والدعوة الى الهجرة. واستغرقت الفترة من نهاية القرن الثامن عشر حتى الربع الاخير من القرن التاسع عشر بتكوين جمعيات «محبّة صهيون» وانطلاق الهجرة على يد طلائع هذه الجمعيات، الى ان توحّدت جهودها في العام ١٨٨٧ لتبدأ أولى المراحل الفعلية، التي تشكّل المنطلق العملي نحو «الدولة اليهودية».

ثانياً ـ مرحلة «التسلّل»: كانت بدايتها مع باكورة الهجرة لجيل من المغامرين، أو «الرواد» كما يدعوهم الصهيونيون، أطلق عليه «العلياه الأولى» (الهجرة الأولى)، يعود لهم فضل ظهور أول الشعارات الصهيونية على أرض فلسطين، التي تتلخّص في ضرورة الاستيلاء على الارض ومنع اصحابها من استردادها. ومنذ العام ١٨٨٧، وعلى امتداد ثلاثين عاماً، استمر المغامرون يتوغّلون في أراضي فلسطين.

وكانت «الحقبة الاولى»، بسنواتها العشر، جهداً متواصلاً لنشر دعوة «القومية اليهودية» والحثّ على الهجرة الى «صهيون» واستيطان فلسطين. وفي العام ١٨٩٧، بدأت «الحقبة الثانية» بتبلور الافكار الصهيونية عملياً في اطار المنظمة الصهيونية العالمية والتحوّل الى التخطيط الجادّ المنظّم لاقامة «وطن قومي يهودي في فلسطين». وكان العام ١٩٠٧ هو بداية «الحقبة الثالثة» والاخيرة في هذه المرحلة، اثر استقرار رأي المنظمة الصهيونية العالمية على انه «لا بديل من فلسطين وطناً قومياً لليهود». وتميّزت هذه الحقبة بتدفّق موجات جديدة من المهاجرين (الهجرة الثانية) تصاحبها مفاهيم سياسية جديدة بأن يكون «العمل هو أساس الاستيطان»، وان يكون «النقاء اليهودي» هو جوهر المجتمع. وتجسيداً لهذه الافكار، خلقت نواة المؤسسة العسكرية الصهيونية في فلسطين تحت اسم منظمة «هاشومير» أي «الحارس».